**﷽**

**مجالس دراسة كتـــاب: معانــي القــرآن للإمام الفراء**

**تعليق الشيخ الدكتـــور: عبد الســـلام مقبل المجيـــدي**

**المجلس الرابع: ســورة البقرة (60-93)**

**الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. أما بعد، فاللهم اغفر لنا ولمشايخنا والحاضرين والمستمعين ولجميع المسلمين. وبأسانيد مشايخنا -حفظهم الله تعالى- إلى عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ -أو قال: يَرْحَمُكُمْ- مَنْ فِي السَّمَاءِ».**

**وبأسانيد مشايخنا -حفظهم الله تعالى- إلى كتاب: معاني القرآن للعلامة الفراء -رحمه الله تعالى، وقوله: ﴿اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾[البقرة:60]. معناه -والله أعلم-: فضَرَب فانفجرت، فعُرِف بقوله: "فَانفَجَرَتْ" أنه قد ضَرَب، فاكتُفِي بالجواب؛ لأنه قد أدّى عن المعنى، فكذلك قوله: ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ﴾[الشعراء:63]، ومثله في الكلام أن تقول: أنا الذي أمرتك بالتجارة فاكتسبت الأموال، فالمعنى فتَجَرت فاكتسبت.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هذا المعنى نقله الإمام الطبري -رحمه الله تعالى- عن الفراء.**

**وأما قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾[البقرة:60]. فإن القائل يقول: وما حاجة القوم إلى أن يعلموا مشاربهم ونحن نرى الأنهار قد أُجريت لقوم بالمنِّ من الله والتَّفضل على عباده، ولم يقل: قد علم كل أناسٍ مشربهم، لغيرهم؟ وإنما كان ذلك -والله أعلم- لأنّه حجرٌ انفجرت منه اثنتا عشرة عيناً على عدد الأسْباط لكل سِبْطٍ عين، فإذا ارتحل القومُ أو شَرِبوا ما يَكْفيهم عادَ الحجرُ كما كان وذهبت العيونُ، فإذا احتاجوا انفجرت العيونُ من تلك المواضع، فأتى كل سِبْطٍ عَيْنَهم التي كانوا يشربون منها.**

**وأما قوله: ﴿وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾. فإن الفوم فيما ذكر لغةٌ قديمة (وهي) الحِنْطَة والخُبْز جميعاً قد ذُكِرا، قال بعضهم: سمعنا العربَ من أهل هذه اللغة يقولون: فَوِّمِوا لنا بالتشديد لا غير، يريدون اختبزوا.**

**وقوله: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾. أي: الذي هو أقرب من الدُّنُوِّ، ويقال من الدَّناءَة. والعرب تقول: إنه لَدنيٌّ ولا يهمزون يُدَنِّي في الأمور أي يتَّبِع خَسيسَها وأصاغرها.**

**وقوله: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾[البقرة:61]. كتبت بالألف، وأسماءُ البُلدان لا تنصرف خَفَّت أو ثَقُلت، وأسماء النساء إذا خَفَّ منها شيءٌ جرى إذا كان على ثلاثة أحرْفٍ وَأَوْسَطُها ساكنٌ مثلُ دَعْدٍ وهِنْدٍ وجُمْل، وإنما انصرفت إذا سُمّي بها النِّساء؛ لأنها تُردَّد وتَكثُر بها التّس‍مية فتخف لكثرتها، وأسماء البلدان لا تكاد تعود، فإن شئت جعلت الألف التي في "مِصْرَا" ألفاً يُوقَفُ عليها، فإذا وصلتَ لم تنوِّن, كما كتبوا "سَلاَسِلاً" و"قَوَارِيراً" بالألف، وأكثر القُرّاء على ترك الإجراء -يعني التنوين- فيهما، وإن شئت جعلت "مِصْرَ" غير المصر التي تُعرَف، يريد: اهبطوا مِصراً من الأمْصار، فإن الذي سألتم لا يكون إلا في القُرَى والأمصار.**

**والوجه الأوّل أحبُّ إليّ، وتصديق ذلك أنها في سورة يوسف بغير ألف: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾[يوسف:99]، وقال الأعمش وسئل عنها فقال: هي مصر التي عليها صالح بن علي.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: صالح بن علي من أمراء العباسيين، ويقصد بذلك أنها مصر المعروفة، والظاهر أنها ليست كذلك، أنا لا أعلم لماذا رجّح الفراء رحمه الله تعالى هاهنا القول الأول والذي يعني به أنه يجوز لك أن تقرأها "اهبطوا مصرَ فإن لكم" وليس ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾، وكان ينبغي أن يبيّن من الذي قرأ بها من أهل الأمصار حتى رجّح هذه القراءة؟ هو نسبها إلى عبد الله بن مسعود، وقد سبق أن نبّهنا إلى أنه ينبغي أن تُجمع القراءات المنسوبة إلى عبد الله بن مسعود في هذا الكتاب، وأن تحلل وتحقق، وتُنقّح، وأن يُنظر مدى صحة نسبتها إليه، وأغلب ظني أن أكثر ما نُسب إلى ابن مسعود لا يصح عنه.**

**قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾[البقرة:63] يقول: بجدٍّ وبتأدية ما افترض عليكم فيه.**

**وقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾[البقرة:66] يعني المسْخة التي مُسِخوها جُعلت نكالاً لما مضى من الذنوب ولما يُعمل بعدها؛ ليخافوا أن يعملوا بما عمل الذين مُسِخوا فيُمْسخوا.**

**وقوله: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ﴾[البقرة:67]. وهذا في القرآن كثيرٌ بغير الفاء؛ وذلك لأنه جوابٌ يَستغني أوّلُه عن آخره بالوَقْفَة عليه، فيقال: ماذا قال لك؟ فيقول القائل: قال كذا وكذا؛ فكأنّ حُسنَ الّسكوتِ يجوزُ به طرحُ الفاء. وأنت تراه في رؤوس الآيات؛ لأنها فصولٌ حَسَناً، من ذلك: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (57) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا﴾[الحجر:57-58] والفاء حسنة مِثل قوله: ﴿فَقَالَ الْملأَ الّذِين كَفَروا﴾ ولو كان على كلمة واحدة لم تُسقط العرب منه الفاء. من ذلك: قُمْتُ ففَعَلْت، لا يقولون: قمت فعلت، ولا قلت قال، حتى يقولوا: قُلْتُ فقال، وقُمْتُ فقام؛ لأنها نَسَقٌ وليست باستفهامٍ يوقَف عليه، ألا ترى أنه: ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾[الشعراء:25-26] فيما لا أحصيه، ومثله من غير الفعل كثيرٌ في كتاب الله بالواو وبغير الواو؛ فأما الذي بالواو فقوله: ﴿قُلْ أؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلّذينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ثم قال بعد ذلك: ﴿الصّابِرينَ والصّادقينَ والْقَانِتينَ والْمُنفِقينَ والْمُسْتَغْفِرِينَ بالأَسْحاِر﴾، وقال في موضعٍ آخر: ﴿التّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ﴾ وقال في غير هذا: ﴿إِنَّ الَّذِيِنَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنينَ والْمُؤْمِنَاتِ﴾ ثم قال في الآية بعدها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ولم يقل: وإنّ. فاعْرِفْ بما جَرى تَفْسيرَ ما بقي، فإنّه لا يأتي إلا على الذي أنْبَأتُك به من الفصول أو الكلام المكتفي يأتي له جوابٌ**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: خلاصة ما يريد أن يقوله -رحمه الله تعالى- - في هذا الموضع: أن وجود الفاء وعدم وجودها سيان، هو يقول: قال الله ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[البقرة:67] لم يقل: «فقال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين»، ويقول هذا في القرآن كثيرٌ بغير الفاء وذلك لأنه جوابٌ يستغني أوله عن آخره بالوقفة عليه، فيقال: ماذا قال لك؟ فيقول القائل: قال كذا وكذا، ومضى على هذا.**

**ثم قال: والفاء حسنة، يعني أيضاً يجوز دخول الفاء إذا أردت.**

**وخلاصة ما عناه: أن قوله في سورة الأعراف: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[الأعراف:60]، يستوي مع قوله في سورة هود: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ﴾[هود:27].**

**وهذا المعنى الذي ذهب إليه المصنف -أنه لا فرق بين وجود الفاء وعدم وجودها، وأنه فقط أسلوبٌ عربي- يحتمل؛ فإن من مقاصد القرآن: حفظ أصول اللغة العربية، فحفظ الله لنا هذا الأصل العربي (بالفاء أو بدون الفاء).**

**وقوله: ﴿لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾[البقرة:68] والعَوانُ ليست بنَعْتٍ للبِكْرِ، لأنها ليست بهَرِمَة ولا شابَّة، انقطع الكلام عند قوله: ﴿وَلاَ بِكْرٌ﴾ ثم استأنف فقال: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذلِكَ﴾ والعَوان يقال منه قد عَوَّنَت، والفارِضُ قد فَرَضَت، وبعضهم: قد فَرُضَت، وأما البكر فلم نسمع فيها بفِعْلٍ، والبِكر يُكْسر أوّلها إذا كانت بِكراً من النِّساء، والبَكْر مفتوح، أوّلَه من بِكَارَة الإبل. ثم قال ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ و"بَيْن" لا تصلح إلاّ مع اسمين فما زاد، وإنمّا صلحت مع "ذلك" وحْدَه؛ لأنّه في مذهب اثْنيْن، والفعلان قد يُجمعان بـ"ذلك" و"ذاك"، ألا ترى أنّك تقول: أظنُّ زيداً أخاك، وكان زيدٌ أخاك، فلا بدّ لكان من شيْئَين، ولا بدّ لأظن من شيئين، ثم يجوز أن تقول: قد كان ذاك، وأظنُّ ذلك.**

**ومما يجوز أن يقع عليه "بَيْن" وهو واحدٌ في اللّفظ مما يؤدّي عن الاثنين فما زاد قوله: ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾[البقرة:136] ولا يجوز: لا نفرق بين رجلٍ منهم؛ لأنّ "أحداً" لا يُثَنّى كما يثنى "الرجل" ويُجَمع، فإن شئت جعلت أحداً في تأويل اثنين، وإن شئت في تأويل أكثر، من ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[الحاقة:47] وتقول: بَيْنَ أيِّهِم الْمَالُ؟ وبَيْنَ مَنْ قُسِم المالُ؟ فتُجري "مَن" و"أَيُّ" مجرى أحد, لأنّهما قد يكونان لواحد ولجمع.**

**وقوله: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾[البقرة:69]. الّلونُ مرفوعٌ؛ لأنك لم تُرِد أن تجعل "ما" صلةً فتقول: بيّن لنا ما لونَها؟ ولو قَرأ به قارئٌ كان صواباً، ولكنه أراد -والله أعلم-: ادع لنا ربك يُبَيِّن لنا أيُّ شيءٍ لونُها.**

 **ولم يصلح للفعل الوقوعُ على أيّ؛ لأن أصل "أيّ" تَفَرُّق جَمْع مِن الاستفهام، ويقول القائل: بيّن لنا أسوداءُ هي أم صَفْراء؟ فلما لم يصلح للتَّبَيُّن أن يقع على الاستفهام في تفرّقه لم يقع على (أيّ)؛ لأنها جمعُ ذلك المتفرِّق، وكذلك ما كان في القرآن مثله، فأعملْ في "ما" "وأيّ" الفعلَ الذي بعدَهما، ولا تُعمِل الذي قبلهما إذا كان مُشتقّاً من العِلْم؛ كقولك: ما أعلم أَيُّهم قال ذاك، ولا أعلمنّ أَيُّهم قال ذاك، وما أدرِي أَيَّهم ضربت، فهو في العِلِم والإخبار والإنْباء وما أشبهها على ما وصفتُ لك. منه قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾[القارعة:10]، وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾[الانفطار:17] "ما" الثانية رفعٌ، فرفعتَها بيوم؛ كقولك: ما أدراك أيُّ شيءٍ يومُ الدّين.**

**وكذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾[الكهف:12] رفعتَه بأَحْصَى.**

**وقول الله: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾[مريم:69] مَنْ نصب (أيّاً) أوقع عليها النزع وليس باستفهام، كأنه قال: ثم لنستخرجنّ العاتيَ الذي هو أشد.**

**وفيها وجهان من الرفع: أحدهما: أن تجعل الفعل مكتفياً بـ"مِنْ" في الوقوع عليها، كما تقول: قد قتلنا من كل قوم، وأصبنا من كل طعام، ثم تستأنف أيّاً فترفعها بالذي بعدها، كما قال جلَّ وعزّ: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[الإسراء:57] أي ينظرون أيُّهُم أقرب. ومثله ﴿يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[آل عمران:44].**

**وأما الوجه الآخر: فإن في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ لننزعن من الذين تشايعوا على هذا، ينظرون بالتشايع أيُّهم أشدُّ وأخبث، وأيهم أشدّ على الرحمن عِتيّاً، والشيعة ويتشايعون سواءٌ في المعنى.**

**وفيه وجه ثالث من الرفع: أن تجعل ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ بالنداء؛ أي لننادينّ ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ وليس هذا الوجه يريدون، ومثله مما تعرفه به قوله: ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾[الرعد:31] فقال بعض المفسرين: ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ألم يعلم، والمعنى -والله أعلم-: أفلم ييأسوا علماً بأن الله لو شاء لهدى الناس جميعاً. وكذلك ﴿لَنَنزِعَنَّ﴾ يريد: ننزعهم بالنداء.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: أطال الكلام في هذه المسألة؛ ليبيّن لماذا جاءت ﴿لَوْنُهَا﴾ مرفوعة؟ فأطال الحديث عنها، ثم ذكر معاني أخرى عظيمة، ومن أعظمها: المعاني المتعددة التي ذكرها في موضع مريم ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾[مريم:69] فإنه ذكر أربعة معانٍ؛ على النصب واحدة، وعلى الرفع ثلاثة، تستحق أن تُفرد..**

**وقوله: ﴿مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيهَا﴾[البقرة:71] غير مهموز، يقول: ليس فيها لونٌ غير الصُّفرة. وقال بعضهم: هي صفراء حتى ظِلفُها وقَرْنها أصفران.**

**وقوله: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾[البقرة:73] يقال: إنه ضُرِب بالفِخذ اليمنى، وبعضهم يقول: ضُرِب بالذَّنَب، ثم قال الله عزّ وجلّ: ﴿كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ معناه -والله أعلم-: ﴿اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ فيحيا ﴿كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ أي: اعتبروا ولا تجحدوا بالبعث، وأضمر فيحيا، كما قال: ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ﴾[الشعراء:63] والمعنى -والله أعلم-: فضرب البحر فانفلق.**

**وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ﴾[البقرة:74]. تذكير ﴿مِنْهُ﴾ على وجهين، إن شئت ذهبت به -يعني "منه"- إلى أن البعض حَجرٌ، وذلك مذكر، وإن شئت جعلت البعض جمعاً في المعنى فذكَّرته بتذكير بعض، كما تقول للنسوة: ضربني بعضُكنّ، وإن شئت أنثته هاهنا بتأنيث المعنى.**

**وقوله: ﴿لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ﴾[البقرة:78]، من العرب من يخفّف الياء فيقول: (إِلاَّ أَمَانِيَ وَإِنْ هُمْ)، ومنهم من يشدِّد، وهو أجودُ الوجهين.**

 **والأمنِيّة في المعنى: التلاوة، كقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[الحج:52] أي في تلاوته، والأمانيّ أيضاً أن يفتعل الرجل الأحاديث المفتعلة؛ قال بعض العرب لابن دَأْب وهو يحدّث الناس: أهذا شيء رويتَه أم شيء تَمنَّيته؟ يريد افتعلته.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: شيخنا هنا الفراء رحمه الله تعالى رأى أن الأماني بالتخفيف والتثقيل على معنيين: المعنى الأول التلاوة، قال: والأمنيّة في المعنى التلاوة، والأماني أيضاً أن يفتعل الرجل الأحاديث، يعني أن يأتي بأحاديث.**

**والظاهر أن الأمانيّ جمع أمنيّة وهي ما يشتهي الإنسان وقوعه، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[الحج:52] ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾ أيْ: إذا اشتهى أن يُصلح القوم أو أن يؤمن القوم بما يدعو إليه، ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ يعني: وضع أمامه العراقيل والشبهات من أجل أن يمنع الناس من الوصول إلى الهدايات، هذا الظاهر في المعنى.**

**لكن كثرة من المفسّرين رحمهم الله تعالى رأوا أن الأمنيّة هي التلاوة، وهذا عجيب، الأمنيّة ما يترتب على التلاوة، أيْ أنّ النبي عندما يتلو فإنه يودّ .. يتمنى .. يشتهي من قلبه أن يؤمن الناس بما يتلوه، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾[البقرة:78] يعني أنهم يجرون خلف القيادات الدينية من الحاخامات، والعلماء، والشيوخ، والقسس أيّاً كانت ديانتهم، يجرون خلف قياداتهم وهم لا يعلمون إلى أين يقودونهم، فيظنون أنه يمكن بذلك أن ينجوا أو أن ينالوا جناتٍ ونهر، والأمر لا يكون كذلك بل لا بد أن يعرفوا ما هو دينهم، وما الدين الذي ارتضاه الله تعالى للعالمين؟**

**وقوله: ﴿إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾[البقرة:80]، وذلك أنهم نَوَوا الأيام التي عبدوا فيها العجل، فقالوا: لن نُعذَّب في النار إلا تلك الأربعين الليلة التي عبدنا فيها العجل، فلمّا كان معناها مؤقّتاً معلوماً عندهم وصفوه بمعدودة ومعدودات، فقال الله: قل يا محمد: هل عندكم من الله عهدٌ بهذا الذي قلتم ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هل هناك فرق بين المعدودة المذكورة هاهنا في سورة البقرة والمعدودات المذكورة في سورة آل عمران؟ يظهر أن هناك فرقاً، ومما طرأ من الفروق بين الموضعين؛ أنهم ذكروا هنا الأكثر وهو الأربعين ليلة التي عبدوا فيها العجل، وهناك ذكروا الأقل، وهي السبع الليالي عن كل ألفٍ من السنوات التي يزعمون أنها عمر الحياة؛ لأنهم يزعمون أن عمر الحياة سبعة آلاف سنة، فيقولون بأنهم سيعذّبون يوماً عن كل ألف.**

**وقوله: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾، هذا من قول اليهود لبعضهم أي: لا تُحدّثوا المسلمين بأنكم تجدون صفة محمد ﷺ في التوراة وأنتم لا تؤمنون به، فتكونَ لهم الحُجَّة عليكم، ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:76] قال الله: ﴿أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[البقرة:77] هذا جوابهم من قول الله.**

**وقوله: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾. إن شئت جعلت ﴿هُوَ﴾ كناية عن الإخراج ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾[البقرة:85] يريد: إخراجهم محرّم عليكم، ثم أعاد الإخراج مرةً أخرى تكريراً على "هو" لمّا حالَ بين الإخراج وبين "هو" كلامٌ.**

**وإن شئت جعلت "هو" عماداً ورفعت الإخراج بمحرم، كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾[البقرة:96] فالمعنى -والله أعلم-: ليس بمزحزحه من العذاب التّعمِير.**

**وقوله: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾[البقرة:81] وُضِعت ﴿بَلَى﴾ لكل إقرارٍ في أوّله جَحْدٌ، ووُضِعت "نَعَم" للاستفهام الذي لا جَحْدَ فيه، فـ"بلى" بمنزلة "نَعَمْ".**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: (في أوله جحْدٌ) في مصطلحه يعني: النفي، يكون الجواب بـ"بلى".**

**إلا أنها لا تكون إلاّ لمَا في أوّله جَحْدٌ؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾[الأعراف:44] فـ"بلى" لا تصلح في هذا الموضع. وأما الجَحْدُ فقوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾[الملك:8-9] ولا تصلح هاهنا "نَعَمْ" أداة؛ وذلك أن الاستفهام يحتاج إلى جوابٍ بـ"نَعَمْ" و"لا" ما لم يكن فيه جَحْدٌ، فإذا دخل الجَحْدُ في الاستفهام لم يستقم أن تقول فيه: "نَعَمْ" فتكونُ كأنك مُقرٌّ بالجَحْدِ وبالفعل الذي بعدَه.**

**وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾[البقرة:83]. رُفِعت ﴿تَعْبُدُونَ﴾ لأنّ دخول "أَنْ" يصلح فيها، فلمّا حُذف الناصب رُفِعت، كما قال الله: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾[الزمر:64]، وكما قال: ﴿وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾[المدثر:6].**

**وإن شئت جعلت ﴿لاَ تَعْبُدُونَ﴾ جواباً لليمين؛ لأنّ أخذ الميثاق يمينٌ، فتقول: لا يعبدون، ولا تعبدون، والمعنى واحد.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: ذكر هنا في المعاني ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ قال: كيف ﴿لا تَعْبُدُونَ﴾ وهم غُيَّبٌ؟ يعني أن المخاطبين بهذا الميثاق إنما كان أجدادهم وليسوا هم الذين خوطبوا بهذا الميثاق، فكيف قال الله ﴿لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ مع أنهم قد ماتوا وانتهى أمرهم؟**

**نقول: يجوز مثل هذا، أيْ كأنهم حاضرون أمامنا، وكأن الله يقول لهم: ﴿لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾، وكذلك؛ فإن مخاطبة الأحفاد بما خوطب به الأجداد -إذا كانت القضية واحدة- صحيحٌ.**

**وقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ﴾[البقرة:89] بالرفع؛ نعت للكتاب؛ لأنّه نكرةٌ.**

**وقوله: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾[البقرة:90] معناه -والله أعلم-: باعوا به أنفسَهم، وللعرب في (شَرَوْا واشْتَروا) مذهبان، فالأكثرُ منهما أن يكون شَرَوْا: باعوا، واشتروا: ابتاعوا, وربمّا جعلوهما جميعاً في معنى باعوا، وكذلك البيع؛ يقال: بعت الثوب، على معنى أخرجتُه من يدي، وبعته: اشتريتُه.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ هل بمعنى باعوا أم بمعنى أخذوا؟ هو يقول: فالأكثرُ منهما أن يكون شَرَوْا: باعوا، واشتروا: ابتاعوا, يعني أخذوا، ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أيْ أخذوا أنفسهم بالكفر ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[البقرة:90].**

**وقوله: ﴿بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[البقرة:90]. موضع "أنْ" جزاءٌ، إذا كان الجزاء لم يقع عليه شيءٌ قبله وكان ينوى بها الاستقبال كسرتَ "إنْ" وجزمت بها فقلت: أُكْرِمُكَ إنْ تَأتنِي، فإن كانت ماضية قلت: أُكْرِمُك أَنْ تَأتِيَني، وأبْيَنُ من ذلك أن تقول: أكرمك أنْ أتَيْتَني؛ كذلك قال الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أتَجْزَعُ أنْ بَانَ الخَلِيطُ المُوَدّعُ** |  | **وحَبْلُ الصَّفَا مِنْ عَزَّةَ المُتَقَطِّعُ** |

**يريد أتجزع بِأنْ، أو لأنْ كان ذلك، ولو أراد الاستقبالَ ومَحْض الجزاء لكسر "إنْ" وجزم بها، كقول الله جلَّ ثناؤه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾[الكهف:6].**

**وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾[البقرة:89]، وقبلها "وَلَمَّا" وليس للأولى جوابٌ، فإن الأولى صار جوابها كأنه في الفاء التي في الثانية، وصارت ﴿كَفَرُواْ بِهِ﴾ كافيةً من جوابهما جميعاً، ومثله في الكلام: ما هو إلاّ أنْ أتاني عبدالله فلما قَعدَ أوسعتُ له وأكرمتُه، ومثله قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾[البقرة:38] في البقرة، ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾[طه:123] في "طه" اكتُفي بجوابٍ واحدٍ لهما جميعاً ، ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾[البقرة:38] في البقرة، ﴿فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى﴾[طه:123] في "طه"، وصارت الفاء في قوله ﴿فَمَنْ تَبِعَ﴾ كأنها جواب لـ"إمّا"، ألاَ تَرى أنّ الواو لا تصلحُ في موضع الفاء، فذلك دليلٌ على أن الفاء جوابٌ وليست بنَسَقٍ.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هو يقول: إذا دخل الشرطان فالجواب لأيّهما؟ الجواب: للثاني ويُكتفى بالثاني عن الأول.**

**وقوله: ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾[البقرة:88]. فيه وجهان من العربية: أحدهما: ألاّ يكونوا آمنوا قليلاً ولا كثيراً.**

**والوجه الآخر: أن يكونوا يصدقون بالشيء قليلاً ويكفرون بما سواه -بالنبي صلى الله عليه وسلم- فيكونون كافرين؛ وذلك أنه يقال: مَن خلقكم وَمن رزقكم؟ فيقولون: الله تبارك وتعالى. ويكفرون بما سواه -بالنبي صلى الله عليه وسلم وبآيات الله-، فذلك قوله: ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾[البقرة:88]، وكذلك قال المفسرون في قول الله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[يوسف:106] على هذا التفسير.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هو يقول بأن استخدام كلمة ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ إما أن تُستخدم بمعنى النفي المحض ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ أيْ لا يؤمنون أبداً، وهذا الذي ذهب إليه ابن عاشور رحمه الله تعالى في ترجيحه، ولا أميل إليه.**

**والمعنى الثاني: ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ أيْ أنهم يؤمنون بشيءٍ قليلٍ مما أُنزِل إليهم ويكفرون بالكثير، وهذا هو الذي يظهر من حالهم وفعالهم؛ فإنهم يزعمون أنهم مؤمنون ولكنهم يكفرون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا المعنى الثاني الذي ذكره الفرّاء رحمه الله.**

**وقوله: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾[البقرة:90]. لا يكون "بَاءُوا" مفردةً حتى توصل بالباء. فيقال: باءَ بإثمٍ يَبُوءُ بَوْءاً. وقوله ﴿بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ أن الله غضِب على اليهود في قولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾[المائدة:64]، ثم غَضِب عليهم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم حين دخل المدينة، فذلك قوله: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾[البقرة:90].**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: "بَاءُوا" بمعنى رجعوا إلى مبوءٍ اتخذوه لهم.. إلى مكانٍ يكونون فيه، ومن ذلك البيئة، نقول: هذه البيئة.**

**"باءُوا بغضبٍ على غضب" أيْ أنهم جمعوا كفراً إلى كفرٍ، والمقصود جمعوا فعلاً كفرياً يستحقون عليه الغضب إلى فعلٍ كفريٍ يستحقون عليه الغضب، فلعنة الله على الكافرين.**

**وقوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾[البقرة:91] يريد سِواه، وذلك كثيرٌ في العربية أن يتكلّم الرجلُ بالكلام الحسن فيقول السّامع: ليس وراء هذا الكلام شيءٌ، أي ليس عنده شيءٌ سواه.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: "وراء" هو أيضاً يصح إعمالها على ظاهرها؛ فإن الذي وراء ما آمنوا به مما آمنوا به في عهد موسى، كفروا بما وراءه يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، وهم لم يؤمنوا حتى بالذي جاء به موسى كما ينبغي.**

**وقوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾[البقرة:91]. يقول القائل: إنما "تقتلون" للمستقبل فكيف قال: "مِن قَبْلُ"؟ ونحن لا نجيز في الكلام أنا أضربُك أمسِ، وذلك جائز إذا أردتَ بـ"تفعلون" الماضي، ألا ترى أنّك تعنِّف الرجلَ بما سلف من فعله فتقول: وَيْحَك لِمَ تَكذب! لِم تُبغِّض نفسك إلى الناس! ومثله قول الله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾[البقرة:102] ولم يقل ما تَلَت الشياطين، وذلك عربيٌّ كثيرٌ في الكلام.**

**فلذلك صلحت "مِنْ قَبْلُ" مع قوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ وليس الذين خوطبوا بالقتل هم القتلة، إنما قتل الأنبياءَ أسلافُهم الذين مَضَوا فتولَّوهم على ذلك ورَضُوا به فنُسِب القتلُ إليهم.**

**وقوله: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ معناه: سمعنا قولك وعصينا أمرك.**

**وقوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[البقرة:93] فإنه أراد: حُبَّ العِجل، ومثل هذا مما تحذفه العرب كثيرٌ؛ قال الله: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾[يوسف:82] والمعنى: سل أهل القرية وأهل العِير.**

**وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.**